

مِرْجَانُ النُّجُومِ

تأليف

عبدُ البرِّ اوراقُ بنُ عبدِ الحَسَنِ البَدْرِي

طبع على نفقة بعض المحسنين
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة

مَنْعَمَالِ النُّجُودِ

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أمّا بعد:

فإنّ التّوحيد هو أوّل الدّين وآخره، وباطنه وظاهره،
وهو أوّل دعوة الرّسل وآخرها، وهو معنى قول لا إله إلاّ
الله، لأجله خلقت الخليقة وأرسلت الرّسل وأنزلت الكتب
وبه افترق النّاس إلى مؤمنين وكفّار وسعداء أهل الجنّة
وأشقياء أهل النّار، وهو أوّل واجب على المكلف، وهو
حقيقة دين الإسلام الّذي لا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه،

فأمره عظيمٌ للغاية، وكبيرٌ جدًّا وكلُّ واحدٍ منَّا محتاجٌ إليه
تذكرةً وتبصرةً، وفي هذه الرسالة «من معالم التَّوحيد»، شيءٌ
من البيان لمَنارات التَّوحيد ومعالمه، من خلال المسائل الآتية:

المسألة الأولى: خصائصُ التَّوحيد وفضائله.

المسألة الثانية: حدُّ التَّوحيد وحقائقه.

المسألة الثالثة: تحقيقُ التَّوحيد وتكميله.

المسألة الرَّابعة: نواقضُ التَّوحيد ونواقضه.

المسألة الخامسة: مصدرُ التَّوحيد ومنبعه.

المسألة السادسة: ثمارُ التَّوحيد وفوائده.

فهذه ستُّ مسائلٍ يدور حولها الحديث في هذه الرسالة
بإيجازٍ واختصارٍ، وكلُّ مسألةٍ من هذه المسائل تحتاج إلى
بسطٍ وسعةٍ في البيان، لكنني سأجتزئ فيها من الكلام ما
يُحقِّق المقصودَ بإذن الله - تبارك وتعالى -، ومنه وحده يُستمدُّ
العونُ ويُستمنحُ التَّوفيقُ:

خصائص التَّوْحِيد وفضائله

اعلم أَنَّ التَّوْحِيدَ له خصائصُ كثيرةٌ وفضائلٌ عديدةٌ
تدلُّ على مكانته العليا، ومنزلته الرَّفِيعَةِ، وسأشير هنا إلى
عشرٍ منها:

❖ الأولى: أَنَّهُ الغَايَةُ الَّتِي خُلِقْنَا لِأَجْلِهَا وَأُوجِدْنَا
لِتحقيقِهَا؛ كما يدلُّ لذلك قول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سُورَةُ الذَّارِعَاتِ] ومعنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
أَي لِيُوحِّدُونِ، فَالتَّوْحِيدُ هو الغَايَةُ الَّتِي خُلِقْنَا لِأَجْلِهَا فِي هَذِهِ
الحَيَاةِ، وَالله ﷻ لَمْ يَخْلُقْنَا عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُكْنَا - أَيضًا - سُدىً وَهَمَلًا،
بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ، وَأَوْجَدَهُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِيُوحِّدُوهُ،

وكفى بهذا دلالة على عِظَم شأن التَّوْحِيد وعلو شأنه.

❖ الأمر الثاني: أَنَّ التَّوْحِيد هو محور دعوة الأنبياء

والمرسلين، بمعنى: أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ بعثه الله ﷻ فَإِنَّ دَعْوَتَهُ

ترتكز على التَّوْحِيد وتقوم عليه، وهذا أدلته كثيرة؛ منها:

قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَأَحْسِنُوا الطَّغُوتَ﴾ [التَّوْحِيد: ٣٦]، وقول الله ﷻ: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ﴿٣٥﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ]، وقال الله ﷻ: ﴿وَسَأَلَ مَنْ

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ

﴿٤٥﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ]، وقال ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ،

بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾

[الْحَقْفَةُ: ٢١] والنُّذُرُ: الرسل؛ أي: أَنَّ الرُّسُلَ قبله وبعده

مُتَّفِقُونَ على هذه الغاية ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، فالتَّوْحِيد

مُرْتَكِز دعوة الأنبياء والمرسلين؛ ولهذا فَإِنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ

يسمُعُهَا الْأَقْوَامُ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ، وَأَوَّلَ مَا يَبْدُو وَتَهُمْ بِهِ فِي بَابِ
الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ: الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي
يُبْنَى عَلَيْهِ الدِّينُ؛ فَإِنَّ مَثَلَ الدِّينِ مَثَلُ شَجَرَةٍ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ
أَنَّ الشَّجَرَةَ لَهَا أَصْلٌ وَلَهَا فَرْعٌ، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُ شَجَرَةٍ إِلَّا
بَأَصْلِهَا، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُ الدِّينِ إِلَّا بِأَسَاسِهِ وَهُوَ التَّوْحِيدُ
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا
ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٢٤]، وَكَمَا أَنَّ الشَّجَرَةَ
إِذَا قُطِعَ أَصْلُهَا مَاتَتْ، فَكَذَلِكَ الدِّينُ إِذَا لَمْ يَقُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ
لَمْ يُنْتَفَعْ بِهِ، فَمَنْزِلَةُ التَّوْحِيدِ مِنَ الدِّينِ مَنْزِلَةُ الْأَصُولِ مِنَ
الْأَشْجَارِ وَالْقَوَاعِدِ مِنَ الْبُنْيَانِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوْحِيدَ مَحَوْرُ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ
وَمُرْتَكِزُ رِسَالَتِهِمْ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ
مِنْ عِلَالٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(١) أَيَّ عَقِيدَتِهِمْ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣٦٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واحدة، كُلُّهُمْ دَعَا إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى أَيْ شَرَائِعُهُمْ مُخْتَلَفَةٌ ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [التَّائِبَةُ: ٤٨].

❖ الأمر الثالث: من خصائص التَّوْحِيد أَنَّهُ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ؛ فَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ لِلدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ هُوَ التَّوْحِيدُ، وَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ هُوَ التَّوْحِيدُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلَائِلُ عَدِيدَةٌ؛ مِنْهَا: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» الْحَدِيثُ ^(١)، وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ» الْحَدِيثُ ^(٢)؛ وَفِي رَوَايَةٍ بَلْفُظٍ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥، ١٣٩٩)، وَمُسْلِمٌ (٢١، ٢٢) مِنْ حَدِيثِ

أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٥٨)، وَمُسْلِمٌ (١٩).

الله تعالى»^(١)، وفي رواية بلفظ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»^(٢)، فالتَّوْحِيدُ هو أَوَّلُ ما يَجِبُ على الْمُكَلَّفِينَ وبه يُبَدَّوْنَ، وهو أَوَّلُ ما يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ به في هذا الدِّينِ، فَالَّذِينَ قَائِمٌ عَلَى التَّوْحِيدِ وَهُوَ أَساسُهُ الَّذِي عَلَيْهِ يُبْنَى.

❖ الأَمْرُ الرَّابِعُ: من خِصائصِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ سَبَبُ الْأَمْنِ والاهْتِدَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاقْرَأْ هَذَا فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، فَالْأَمْنُ بِيَدِ اللَّهِ، وَلَا يُعْطِيهِ ﷻ إِلَّا لِلْمُؤَحِّدِ الَّذِي يُخْلِصُ الدِّينَ لَهُ ﷻ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ - كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ - شَقَّ أَمْرُهَا عَلَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ وَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَيْنَا لَمْ يَظْلَمْ

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦).

نفسه؟» يعني ما منّا إلّا وقد ظلّم نفسه، والله يقول: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢)، فمعنى ذلك لا حظّ لنا من الأمن والاهتداء؛ لأنّ كلّ واحدٍ منّا قد ظلّم نفسه، فقال النّبي ﷺ: «لَيْسَ ذَاكَ - يعني ليس هذا هو معنى الظُّلم في الآية -؛ أَمَا قَرَأْتُمْ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ - يعني لقمان الحكيم - ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) [سُورَةُ لُقْمَانَ]»، ففسّر - عليه الصّلاة والسّلام - الظُّلم في هذه الآية بالشّرك؛ فأفاد هذا السّياق أنّ من آمن ولم يُشرك؛ له الأمن والاهتداء في الدُّنيا والآخرة، فهذه من خصائص التّوحيد: مَنْ كَانَ مُوَحِّدًا مَنَحَهُ اللَّهُ ﷻ الْأَمْنَ وَالْإِهْتِدَاءَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

❖ الأمر الخامس: من خصائص التّوحيد أنّ التّوحيد فيه السّلامةُ من الاضطراب والتّناقض، بخلاف العقائد الأخرى، فهي مُضطربةٌ ومتناقضةٌ، يدلّ لذلك قوله ﷻ:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢)

[سُورَةُ النَّبَا]، فالعقائد التي يخرعها الناس ويُحْدِثونها، فيها من الاضطراب والتناقض الشيء الكثير، أمّا الإيَّانُ الصَّحيح والاعتقاد السليم والتَّوحيد الرَّاسخ المُستمدُّ من كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ فهو سالمٌ من ذلك كلِّه.

❖ سادساً: من خصائص التَّوحيد أنَّه مُوافقٌ للفِطْرَةِ

السَّليمة والعقول المستقيمة؛ فالتَّوحيد هو دينُ الفطرة، ولو تُركَ الإنسانُ وفطرته لما قبلَ غير التَّوحيد؛ لأنَّه يتوافقُ مع الفطرة، بل هو الفطرة كما قال الله ﷻ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ

الَّذِينَ أَلْفَمُوا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠)

[سُورَةُ الْفُرْقَانِ]، أمّا الشُّرك فهو خروجٌ عن الفطرة وانحرافٌ

عنها، ولهذا جاء في «صحيح مسلم» حديثٌ قدسيٌّ، قال الله

تعالى فيه: «وإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلُّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ

الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»^(١)؛ خلقت عبادي حنفاء: أي على الفطرة التي هي التوحيد، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم أي حرفتهم عن دينهم.

وجاء في «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ كَمَا تُتَّبِعُونَ الْبَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجِدُونَهَا؟»^(٢)، وفي رواية: «فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُتَّبِعُ الْبَهِيمَةَ بِهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»^(٣)، فالبهيمة تخرج من بطن أمها جمعاء مُكْتَمَلَةً الْأُذْنَيْنِ وَالْأَطْرَافِ، فإذا انقطعت منها رجلٌ أو يدٌ أو أُذُنٌ أو نحو ذلك فليس هذا من أصل خَلْقِهَا وَإِنَّمَا هَذَا بفعل النَّاسِ بعدما خَرَجَتْ تَامَّةً كَامِلَةً، قال ﷺ: «حَتَّى تَكُونُوا

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا» فكذلك المولود يُولد على الفطرة، فإذا تنصّر أو
 تهوّد أو تمجّس أو وقع في أيّ نوعٍ من أنواع الانحراف والزّيغ
 والضلال والباطل فهذا بفعل الأبوين أو المحيط الذي ينشأ فيه.
 وينشأ ناشئُ الفتيانِ منّا على ما كان عوّدُه أبوه

قال ﷺ: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» ولم
 يقل: «أَوْ يُسَلِّمَانِهِ» لأنّه نشأ وُلد على الفطرة، فالتّوحيد هو
 دين الفطرة، وأمّا الشّرك وغيره من الضّلال والباطل كلّ
 ذلك مصادمٌ للفطرة مُباینٌ لها، وأمّا موافقته للعقول
 المستقيمة، فإنّ العقل المستقيم الَّذي لم يَزِغْ ولم ينحرفْ لا
 يَرْضَى بغير التّوحيد ولا يَقْبَلُ إِلَّا التّوحيد، فمن هذا الَّذي
 عنده عقلٌ سليمٌ ويرضى بتعدّد الآلهة! أو التّعلّق بقبابٍ أو
 تراب ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣١) مَا
 تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴿يُكُذِّبُونَ﴾ [يُونُسَ ٣١].

قال مُوحّد الجاهليّة زيدُ بن عمرو بن نُفَيْل حين فارق

دين قومه^(١):

أربًا واحدًا أم ألف ربٍّ أدينُ إذا تقسَّمت الأمورُ
عزلتُ اللَّاتَ والعُزَّى جميعًا كذلك يفعلُ الجلدُ الصَّبُورُ
فلا عُزَّى أدينُ ولا ابتتيها ولا صنمي بني عمرو أديرُ
«وكان يعيبُ على قريشٍ ذبائحهم ويقول: الشَّاةُ خلقها
اللهُ وأنزلَ لها من السَّماءِ الماءَ وأنبتَ لها من الأرض ثمَّ
تذبحونها على غير اسم الله إنكارًا لذلك وإعظامًا له»^(٢).
فليس في العقول أيبُن ولا أجلى من معرفتها بكمال خالق
هذا العالم وتنزيهه عن العيوب والنقائص وإفراده وحده بالذَّلِّ
والخضوع، وجاءت الرُّسل بالتذكُّر بهذه المعرفة وتفصيلها،
فحسنُ التَّوحيد وقبحُ الشُّرك مُستَقَرٌّ في العقول والفطر، معلومٌ
لمن كان له قلبٌ حيٌّ وعقلٌ سليمٌ وفطرةٌ صحيحةٌ.

(١) «السيرة» لابن إسحاق (٢/٩٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٢٦).

❖ الأمر السابع: من خصائص التَّوْحِيد أنَّ التَّوْحِيدَ هو الرِّابطة الحَقِيقِيَّةُ الباقية المُسْتَمِرَّةُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، ولا يوجد رابطةٌ بين النَّاسِ إطلاقاً مثل رابطة التَّوْحِيدِ؛ لأنَّ هذه الرِّابطة الَّتِي بين أهل التَّوْحِيدِ والإيمان رابطةٌ باقيةٌ مُسْتَمِرَّةٌ دائمةٌ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ ١٧]، وقال في آية أخرى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سُورَةُ الْبَقَعَةِ ١٦] أي العلائق والصلّات؛ فكلُّ صلةٍ مُنْقَطِعَةٍ، وكلُّ حُبٍّ ذَاهِبٍ، وكلُّ تواصلٍ زائلٌ إِلَّا الحُبَّ والصلَّةَ والتَّواصلَ في التَّوْحِيدِ والإيمان بالله ﷻ، فما كان لله دام واتَّصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل، فمهما كانت الرِّابطة قوِيَّةً ومهما كانت الصِّلَةُ عميقةً ستَنْتَهِي إمَّا في الدُّنْيَا أو في الآخِرَةِ - قطعاً - إِلَّا الصِّلَةُ الَّتِي تكون على توحيد الله ﷻ وحسن الإيمان به، فهذه صلةٌ دائمةٌ مُسْتَمِرَّةٌ باقيةٌ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

❖ الأمر الثامن: من خصائص التَّوْحِيدِ سلامة

مصدره، فهو مأخوذٌ من معينٍ عذبٍ ومُورِدٍ زُلَالٍ، مُسْتَمَدٌّ من كتاب الله ذي الجلال، ومن سنَّةِ رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، وهذا جانبٌ سيأتي تفصيله.

❖ الأمر التاسع: من خصائص التَّوْحِيدِ الثَّبَات والحفظ، والله - تبارك وتعالى - تكفل بحفظ هذا التَّوْحِيدِ وحفظِ هذا الدِّينِ وبقائه، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٣٠]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٢٨]، وقال ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٧].

❖ الأمر العاشر: من خصائص التَّوْحِيدِ اشتماله على ثمارٍ كثيرةٍ وفضائلٍ عديدةٍ وآثارٍ مُتَنَوِّعةٍ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، سيأتي الحديث عن شيء منها في تمام هذا الموضوع وختامه.

حدُّ التَّوْحِيدِ وَحَقِيقَتُهُ

التَّوْحِيدُ: مصدرٌ للفعل وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا، وهو أصلٌ يدلُّ على الإفراد، وتوحيدُ الله إفراده ﷻ ونفيُ الشَّريك عنه في حقوقه ﷻ وخصائصه، فلا شريك له في شيءٍ من خصائصه، ولا في شيءٍ من حقوقه ﷻ على عبادِهِ.

فالرُّبُوبِيَّةُ - وهي التَّصَرُّفُ في هذا الكون خلقًا ورزقًا وإحياءً وإماتةً وتدبيرًا - هذا من خصائص الله ﷻ.

وأسماءُهِ الحُسْنَى وصفاتُهُ العليا ومشيتُهُ النَّافذة وقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ وعِلْمُهُ الواسِعُ وكَمَالُهُ ﷻ في أسمائه وصفاته هذا من خصائص الله ﷻ، فَمَنْ جعل لأحدٍ من المخلوقات شيئًا من خصائص الله نقضَ بذلك توحيدَهُ.

وحقوق الله ﷻ على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً كما في حديث مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال له النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ؛ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قال: قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ، قال: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»^(١) فالعبادةُ حقٌّ لله ﷻ؛ فَمَنْ صرف شيئاً من العبادة لغير الله نقضَ بذلك توحيدَه.

فالتَّوْحِيدُ: هو إفرادُ الله ﷻ بحقوقه وخصائصه، والشُّرْكُ: هو تسويةُ غير الله بالله ﷻ في شيءٍ من حقوقه أو خصائصه، فهذه حقيقة التَّوْحِيدِ: أن نُفَرِّدَ اللَّهَ ﷻ وأن لا نجعل معه شريكاً كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النِّسَاءُ: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَّاهُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٢٣]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦، ٥٩٦٧)، ومسلم (٣٠).

لَهُ الدِّينَ ﴿البَّيِّنَةُ: ٥﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وهذا يتبين أَنَّ التَّوْحِيدَ أقسامٌ ثلاثة: توحيدُ الرُّبُوبِيَّةِ،
وتوحيدُ الأسماء والصفات، وتوحيدُ الألوهية.

□ أَمَّا توحيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: فهو إفرادُ الله ﷻ بالاعتقاد بَأَنَّهُ
وحده الخالقُ الرَّازِقُ المالكُ الْمُنْعِمُ الْمُتَصَرِّفُ الَّذِي لا شريكَ
له في شيءٍ من ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ
اللَّهُ﴾ [الرَّعد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا

إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٨٤ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٨٦
﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ﴾ ٨٧ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ

كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُمَيِّتُهُ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٨٨
﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [سُورَةُ الْمُؤْتَفِكِينَ]، وقال تعالى:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

[سُورَةُ غَافِرٍ]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سُورَةُ الزَّحَر] وغيرها من الآيات.

□ والقسم الثاني: توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراده

ﷻ بأسمائه الحسنی وصفاته العُلا الواردة في كتابه وسنة نبيه

ﷺ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨)

[سُورَةُ طه: ١٦٥]، وقال ﷻ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأنعام: ١١٠]، قال - جلَّ وعلا -: ﴿هُوَ اللَّهُ

الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢)

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ

الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا

يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) [سُورَةُ الْحَجَّةِ: ٢٢٠].

□ والقسم الثالث: توحيد الألوهية وهو إفراد الله ﷻ

بالعبادة كالدُّعاء، والرَّجاء، والخوف، والنذر، والدُّبح،

والصَّلاة، والصَّيام إلى غير ذلك من العبادات، وإخلاص

الدِّين له والبراءة من الشُّرك كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، وقال ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾

[البقرة : ٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴿١٦٣﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ»^(١) هذا هو التَّوْحِيدُ وهذه حقيقته.

ولكلِّ قسمٍ من هذه الأقسام الثلاثة ضدٌّ؛ «فإذا عرفت أنَّ توحيد الرُّبُوبِيَّةِ هو الإقرار بأنَّ الله تعالى هو الخالق، الرَّازِق، المحيي، المميت، المدبِّر لجميع الأمور، المتصرِّف في كلِّ مخلوقاته، لا شريك له في ملكه؛ فِضْدُ ذلك هو اعتقاد العبد وجودَ متصرِّفٍ مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إِلَّا الله عَزَّوَجَلَّ.

وإذا عرفت أنَّ توحيد الأسماء والصفات هو أن يُدعى اللهُ بما سَمِيَ به نفسه، ويُوصف بما وصف به

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧) واللفظ له، ومسلم (٩٢) من حديث

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

نفسه، ووصفه به رسوله مُحَمَّدٌ ﷺ، ويُنفى عنه التشبيه

والتَّمثِيل؛ فُضدُ ذلك شيئان، وَيَعْمَهُما اسم الإلحاد:

□ أحدهما: نفى ذلك عن الله ﷻ، وتعطيله عن

صفات كماله، ونعوت جلاله الثَّابِتة بالكتاب والسنة.

□ وثانيهما: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه،

وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾ [طَلْحَة: ١١٠].

وإذا عرفت أنَّ توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى

بجميع أنواع العبادة، ونفى العبادة عن كلِّ ما سوى الله

- تبارك وتعالى -؛ فُضدُ ذلك هو صرف شيءٍ من أنواع

العبادة لغير الله ﷻ، وهذا هو الغالب على عامة

(١)

المشركين، وفيه الخصومة بين جميع الرُّسل وأممها .

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي (١/٤١٨).

تحقيق التَّوْحِيدِ وتكميله

وتحقيق التَّوْحِيدِ درجةٌ عليا ومنزلةٌ مُنيفةٌ ورتبةٌ شريفةٌ، ذكر النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَهْلَهَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدُونِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ رحمتهما قَالَ رحمتهما: «وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» ثُمَّ ذَكَرَهُمْ بِقَوْلِهِ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١) فهذه درجةٌ عاليةٌ في التَّوْحِيدِ وهي تحقيق التَّوْحِيدِ وتكميله.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

وتحقيقُ التَّوْحِيدِ المراد به: تَتِمِيمُ التَّوْحِيدِ وتَكْمِيلُهُ
وتَصْفِيَّتُهُ وتَنْقِيَّتُهُ من شوائب الشَّرْكِ والبدع والمعاصي،
وهذه الأمور الثلاثة يُسَمِّيها أَهْلُ الْعِلْمِ: الْعَوَائِقُ الَّتِي
تَعَوِّقُ السَّائِرَ فِي سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ: عَائِقُ الشَّرْكِ
وعَائِقُ الْبَدْعَةِ وعَائِقُ الْمَعْصِيَةِ.

أَمَّا عَائِقُ الشَّرْكِ؛ فَالْخِلَاصُ مِنْهُ بِإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ،
وَأَمَّا عَائِقُ الْبَدْعَةِ؛ فَالْخِلَاصُ مِنْهُ بِلُزُومِ السُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ
الرَّسُولِ ﷺ وَالسَّيْرَ عَلَى مَنَاجِهِ، وَأَمَّا عَائِقُ الْمَعْصِيَةِ؛
فَبِالْبُعْدِ عَنْهَا وَالْحَذَرِ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا وَالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ إِلَى اللَّهِ
ﷻ إِذَا وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ
بِهَذِهِ الرُّتْبَةِ فَإِنَّهُ بَلَغَ تَحْقِيقَ التَّوْحِيدِ.

وتحقيقُ التَّوْحِيدِ - أَيْضًا - عَلَى رُتَبَتَيْنِ، تَحْقِيقٌ وَاجِبٌ
وتَحْقِيقٌ مُسْتَحَبٌّ، وَكُلُّ أَهْلِ الرُّتَبَتَيْنِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِدُونِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ:

□ الرتبة الأولى من تحقيق التوحيد: هي رتبة المقتصدين، والمقتصد: هو مَنْ فَعَلَ الواجبَ وتركَ المُحرَّم، فإذا كان العبد هذه حاله مُحَافِظًا على الواجبات والفرائض مُجَانِبًا لِلْمُحَرَّمَاتِ والكبائر والآثام؛ فَإِنَّهُ قد حَقَّقَ التَّوْحِيدَ التَّحْقِيقَ الواجبَ وكانَ مِنَ الْمُقْتَصِدِينَ، وَهُمْ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِدُونِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فهذه رتبة.

□ والرتبة الثانية أعلى من هذه الرتبة وهي: تحقيق التوحيد التَّحْقِيقَ الْمُسْتَحَبَّ وهي مرتبة السَّابِقِينَ بالخيرات، وَهُمْ الَّذِينَ مع حفظهم وعنايتهم بالواجبات وبعدهم عن الكبائر والمُحَرَّمَاتِ نَافِسُوا فِي الرِّغَائِبِ وَالنَّوَافِلِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ.

فهؤلاء الْمُحَقِّقُونَ لِلتَّوْحِيدِ بِقِسْمِيهِم - المقتصدين والسَّابِقِينَ بالخيرات - كُلُّهُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدُونِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ

وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ

﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴿سُورَةُ طه﴾ أي: يدخل جنّات عدن

الثلاثة: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات.

أمّا المقتصد والسابق بالخيرات؛ فإنّ دخولهما إلى الجنّة
دخولا أوليّاً بدون حساب.

وأمّا الظالم لنفسه بالذنوب التي دون الشّرك، فإنّه
يدخل الجنّة، لكن لا يدخلها دخولاً أوليّاً بدون حساب
ولا عذاب كالمقتصد والسابق بالخيرات؛ بل يكون عُرْضَةً
للعذاب والحساب، وهو تحت مشيئة الله ﷻ إن شاء
عذّبه وإن شاء غفر له.



نواقض التَّوْحِيدِ ونواقصه

التَّوْحِيدُ له نواقض وله نواقص؛ ونواقض التَّوْحِيدِ هي
الَّتِي تُحِبِّطُ الْعَمَلَ وتبطل الدِّينَ كُلَّهُ، وهي الكُفْرُ بالله
وَالشِّرْكُ وَالنِّفَاقُ الْخَالِصُ، الكُفْرُ بأنواعه وَالشِّرْكُ بأنواعه
وَالنِّفَاقُ الْأَكْبَرُ بأنواعه هذه كُلُّهَا نواقضُ لِلتَّوْحِيدِ تَنْقُضُ
التَّوْحِيدَ مِنْ أَصْلِهِ وتهدِّمُهُ مِنْ أُسَاسِهِ، فَالشِّرْكُ الْأَكْبَرُ
بأنواعه، والكُفْرُ الْأَكْبَرُ بأنواعه، وَالنِّفَاقُ الْأَكْبَرُ بأنواعه كُلُّهَا
ناقضةٌ لِلتَّوْحِيدِ وهادمةٌ له مِنْ الْأَسَاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٤٥]، وَقَالَ
تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٥]،

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ : ٢٥] ، فالتَّوْحِيدُ يَنْتَقِصُ وَيَنْهَدُمُ وَيَبْطُلُ بِالشَّرْكِ الْأَكْبَرِ بِأَنْوَاعِهِ ، وَالنِّفَاقِ الْأَكْبَرِ بِأَنْوَاعِهِ ، وَالكُفْرِ الْأَكْبَرِ بِأَنْوَاعِهِ ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ يَطُولُ الْحَدِيثُ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا وَذَكَرَ تَفَاصِيلُهَا .

وَأَمَّا نَوَاقِصُ التَّوْحِيدِ فَهِيَ الْأُمُورُ الَّتِي تُنْقِصُ التَّوْحِيدَ وَلَا تُبْطِلُهُ وَلَا تَهْدِمُهُ مِنَ الْأَسَاسِ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ الْكُفْرُ الْأَصْغَرُ ، وَالنِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ ، مِثْلُ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » ^(١) ؛ هَذِهِ نَوَاقِصُ التَّوْحِيدِ إِذَا وُجِدَتْ فِي الْعَبْدِ نَقَصَ تَوْحِيدُهُ وَنَقَصَ إِيْمَانُهُ ، وَكَذَلِكَ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ وَالْأَلْفَاظُ الشَّرَكِيَّةُ الَّتِي لَا يَقْصِدُ الْإِنْسَانُ حَقِيقَتَهَا وَإِنَّمَا تَقَعُ عَلَى لِسَانِهِ ، هَذِهِ تُنْقِصُ تَوْحِيدَهُ ، أَمَّا إِذَا اعْتَقَدَ حَقِيقَتَهَا كَانَتْ مِنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣) ، وَمُسْلِمٌ (٥٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الشُّرك الأكبر الناقض للتَّوحيد.

ولهذا ينبغي على المؤمن أن يكونَ على رعايةٍ لتوحيده
وعنايةٍ به بإبعاده عن كلِّ ناقضٍ وناقصٍ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: «واعلم أنَّ ضدَّ
التَّوحيد الشُّركُ؛ وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك
أصغر، وشرك خفي.

○ والدَّلِيل على الشُّرك الأكبر، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سُورَةُ النَّبَاةِ]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ
الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

□ وهو أربعة أنواع:

□ النوع الأوَّل: شرك الدَّعوة، والدَّلِيل عليه قوله

تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا
نَجَّيْنَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ].

□ النوع الثاني: شرك النية، وهي: الإرادة والقصد،
والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ
لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سُورَةُ هُودٍ].

□ النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل عليه قوله
تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سُورَةُ الْحَجَّةِ]
وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، هو: طاعة العلماء
والعباد في معصية الله سبحانه، لا دعاؤهم إليهم، كما فسرها

رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، لما سألَهُ، فقال: لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ عِبَادَتَهُمْ طَاعَتُهُمْ فِي الْمَعْصِيَةِ.

□ النُّوعُ الرَّابِعُ: شِرْكُ الْمَحَبَّةِ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ^ط وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ^(١٦٥)﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ^(١٦٧)﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ].

○ والنُّوعُ الثَّانِي: شِرْكُ أَصْغَرٍ، وَهُوَ الرِّيَاءُ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا^(١١٠)﴾ [سُورَةُ الْكَافُرَاتِ].

○ والنُّوعُ الثَّالِثُ: شِرْكُ خَفِيِّ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ: «الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَاةِ السَّوْدَاءِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ»، وَكَفَّارَتُهُ قَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَمُ،

وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي لَا أَعْلَمُ».

○ والكفر كُفْران:

□ كفرٌ يخرج من المِلَّة، وهو خمسة أنواع:

□ النوع الأول: كفرُ التَّكْذِيب، والدَّلِيل عليه، قوله

تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا

جَاءَهُ^{٢٨} أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ [سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ].

□ النوع الثاني: كفرُ الاستكبار والإباء مع التصديق،

والدَّلِيل عليه، قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا

إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ].

□ النوع الثالث: كفر الشَّكِّ، وهو كفرُ الظَّنِّ،

والدَّلِيل عليه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ

قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ

صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ

سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ [سُورَةُ الْكَهْفِ].

□ النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل عليه قوله

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [سُورَةُ الْحَقَّةِ].

□ النوع الخامس: كفر النفاق، والدليل عليه قوله

تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سُورَةُ الْمَنَافِقِينَ].

○ وكفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو: كفر النعمة؛

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [الْحَافِل: ١١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سُورَةُ الْبَلَدِ].

وأما النفاق: فهو نوعان: نفاق اعتقادي، ونفاق عملي.

فأما الاعتقادي:

□ فهو ستة أنواع:

تكذيبُ الرَّسُولِ، أو تكذيب بعض ما جاء به الرَّسُولِ،
أو بغضُ الرَّسُولِ، أو بغضُ ما جاء به الرَّسُولِ، أو المسرَّةُ
بانخفاض دينِ الرَّسُولِ، أو الكراهيةُ لانتصار دينِ الرَّسُولِ؛
فهذه الأنواع السِّتَّةُ، صاحبُها من أهل الدَّرَكِ الأسفل من
النَّارِ، نعوذُ بالله من الشَّقاقِ والنِّفاقِ.

وَأَمَّا النِّفاقُ العملي:

□ فهو خمسةُ أنواعٍ:

إذا حدَّثَ كَذِبًا، وإذا خاصَمَ فجرًا، وإذا عاهدَ غَدَرَ،
وإذا اتَّمَنَ خانًا، وإذا وعدَ أخلف؛ والله تَعَالَى أعلم^(١).



(١) «الدَّرَكُ السِّتَّةُ» (٣/ ٦٦).

مصدر التَّوْحِيدِ وَمَنْبَعُهُ

التَّوْحِيدُ دِينٌ صَحِيحٌ وَإِيمَانٌ قَوِيمٌ مُسْتَمَدٌّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام -، وَهُوَ الدِّينُ الْوَحِيدُ
الَّذِي نَزَلَ بِهِ وَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا عِنْدَ النَّاسِ مِنْ عَقَائِدٍ
مُغَايِرَةٍ لِلتَّوْحِيدِ وَمُنَافِيَةٍ لَهُ؛ فَهِيَ عَقَائِدُ نَابِتَةٌ فِي الْأَرْضِ
اخْتَرَعَهَا النَّاسُ وَأَحْدَثُوهَا وَأَوْجَدُوهَا، فَالتَّوْحِيدُ هُوَ
العقيدة الوحيدة الَّتِي نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ بِوَحْيِ اللَّهِ، وَهُوَ دِينُ
اللَّهِ الَّذِي رَضِيَهِ لِعِبَادِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ
دِينًا﴾ [التَّوْحِيدُ : ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سُورَةُ الْآحْزَابِ : ٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ

مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴿١٣٠﴾ [البقرة : ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَسْلُمُونَ﴾ [التغوى : ١٩]؛ فالتَّوْحِيدُ هو وحيٌ
منَ الله ﷻ مُنَزَّلٌ على عباده، وهو دينُ الله الَّذي خَلَقَ
الخلقَ لأجله وأوجدَهُم لتحقيقه، ولهذا مرَّ معنا قوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ﴾ [الحج : ٣٦]، ﴿أَفَاقَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١ يُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾
[سُورَةُ الْحَجَّاتِ].

وأما ما سوى التَّوْحِيدِ من العقائد فهي عقائد نبتت
في الأرض واختُرعت وأوجدتها النَّاسُ، ولهذا كان من
طريقة الأنبياء في إبطال العقائد التي بين النَّاسِ من شركٍ
وكفرٍ ونفاقٍ وغير ذلك من أنواع الضَّلال بيانُ أَنَّهُ لم ينزلْ
به وحيٌ، وقد مرَّ معنا قولُ يوسف ﷺ لصاحِبِي

السَّجَن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴿سُورَةُ الْبَنَاتِ﴾ [، وقال الله ﷻ في سورة
النَّجْم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾
أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿١١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ
سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴿سُورَةُ الْبَنَاتِ﴾ [،
وقال هود عليه السَّلام لقومه: ﴿اتَّجِدُلُونِي فِي أَسْمَاءِ
سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْظُرُوا
إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (٧١) ﴿سُورَةُ هُودٍ﴾ [.

فالتَّوْحِيدُ مصدرُهُ ومنبَعُهُ كِتَابُ اللَّهِ ﷻ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ﷺ،
مَأْخُودٌ مِنْ هَذَا الْمُرَادِ الْعَذْبُ وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي؛ وَأَمَّا الْعَقَائِدُ
الَّتِي عِنْدَ النَّاسِ فَمَصْدَرُهَا؛ إِمَّا مَا تُثْلِيهِ عَلَيْهِمْ عَقُولُهُمْ
الْفَاسِدَةُ وَتُوجِبُهُ آرَاؤُهُمُ الْكَاسِدَةُ، أَوْ هِيَ وَحْيٍ مِنْ
شَيَاطِينِهِمُ الْمَارِقَةِ، «وَالْوَحْيُ وَحْيَانٌ: وَحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

وَوَحَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ

أُولِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣١﴾﴾

[سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا

شَيْطَانًا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾

[الْأَنْعَامِ: ١١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ

﴿٣٣﴾﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٣٣]، وَقَدْ كَانَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ مِنْ هَذَا

الضَّرْبِ حَتَّى قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، قِيلَ لِأَحَدِهِمَا: إِنَّهُ

يَقُولُ إِنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ

أُولِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ﴾، وَقِيلَ لِلْآخَرِ: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ؛

فَقَالَ: ﴿هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٣٣﴾﴾^(١).

فَالشَّيْطَانُ يُوحِي إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ بِعُقَائِدِ وَأَفْكَارِ

وَوَسَاوِسٍ وَخَطَرَاتٍ يُؤْمِنُونَ بِهَا ثُمَّ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَيْهَا بِهَذَا

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٣ / ٧٥).

الوحي الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِم مِّنَ الشَّيْطَانِ، أو أمور يتوصَّل إليها الإنسان بذوقه الفاسد، ثم تنشأ عن ذلك أعمال وعبادات وطقوس يقول في الاستدلال لها: جَرَّبْنَا أو جَرَّبَ مشايخنا؛ والدينُ لا يُؤخذ بالتَّجاربِ، أو أعمال يأخذها من المنامات؛ يقول: رأيتُ في المنام كذا وكذا، ويبنى عليه ديناً أو عقيدةً، وهكذا دواليك من المصادر التي يستمدُّ منها كثيرٌ من النَّاس عقائدَ ما أنزل اللهُ - تبارك وتعالى - بها من سلطان.

إِذَا؛ فالعقيدة المباركة عقيدةُ التَّوْحِيدِ التي هي دينُ الله ﷻ الَّذِي لا يقبلُ اللهُ ديناً سواه عقيدةٌ مُستَمَدَّةٌ من مَوْرِدٍ عَذْبٍ وَمَنْهَلٍ صَافٍ، وَمَنْ نَهَلَ مِنَ الْمَوْرِدِ الْأَوَّلِ وَالْمَنْهَلِ الْعَذْبِ وَجَدَ بَقِيَّةَ الْمَنَابِعِ كِدْرَةً وَمُلَوَّثَةً، لَكِنْ لَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ تَلَوُّثَ هَذِهِ الْمَصَادِرِ إِلَّا إِذَا عَرَفَ الْمَنْبَعَ الصَّافِيَ النَّقِيَّ الَّذِي هُوَ وَحْيُ اللهِ ﷻ وَتَنْزِيلُهُ، وَلِهَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ هِدَايَتِهِمْ وَدُخُولِهِمْ فِي التَّوْحِيدِ يَتَبَيَّنُ لَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا لَا يَعْقِلُونَ، بَيْنَمَا هُمْ فِي وَقْتِ ضَلَالِهِمْ وَشُرْكَهِمْ وَبَاطِلِهِمْ يَظُنُّونَ

أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ وَالذِّينُ الْقَوِيمُ.

ولهذا كان بعضُ الصَّحابة رضي الله عنهم أحيانًا يَجْلِسُونَ
يذكرونَ مِنْ أخبارهم الغريبة عندما كانوا على الشَّرْكَ
ويحمدونَ الله الَّذي هداهم إلى الإسلام والتَّوْحِيدِ؛ عَنْ أَبِي
عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ - وقد أدرك الجاهليَّةَ وأسلم على عهد
رسول الله ﷺ ولم يره -، يقول: «كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَعْبُدُ حَجَرًا،
فَسَمِعْنَا مَنَادِيًّا يَنَادِي: يَا أَهْلَ الرَّحَالِ! إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ هَلَكَ
فَالْتَمِسُوا رَبًّا - يعني الحجر الَّذي معهم الَّذي يعبدونه ضَاعَ
وَفُقِدَ -، قال: فخرجنا على كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ، فبينما نحنُ
كَذَلِكَ نَطْلُبُ إِذَا نَحْنُ بِمَنَادٍ يَنَادِي: إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا رَبَّكُمْ أَوْ
شَبَهَهُ، قال: فَجِئْنَا فَإِذَا حَجَرٌ فَنَحْرُنَا عَلَيْهِ الْجُزُرُ»^(١) وجدوا
حَجَرًا آخَرَ مِثْلَ ذَاكَ الْحَجَرِ أَوْ مِقَارِبًا لَهُ، فَجَاءُوا بِهِ وَاتَّجَّهُوا

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنّفه» (٣٣٩١٤)، وابن سعد في
«الطبقات الكبرى» (٩٧/٧)، وأبو نعيم في «معرفه الصَّحابة»

(٤٧٠٧) وإسناده حسن.

إليه يعبدونه ويرجونه ويصرفون له الدُّعَاءَ والرَّجَاءَ
والذَّبَّائِحَ، أين عقول هؤلاء؟!

على أنَّهم في وقتِ هذا العمل وهذه الممارسة يصفون أنبياء
الله ﷺ ورسله بالجنون ويعدُّون أنفسهم أنَّهم هم العقلاء،
لكن إذا أنار الله ﷻ البصائر بالتَّوْحِيدِ والإيمان وهدى الله ﷻ
القلوب لهذا الإسلام تبيَّن للإنسان فساد ما عليه المشركون وأنَّ
تلك المصادر التي اعتمدها مُلَوِّثَةٌ مَشُوبَةٌ بِكُلِّ باطلٍ وضلالٍ،
وتبيَّن أنَّ كلَّ مُشْرِكٍ فاسدُ العقل.



ثمار التَّوْحِيد وفوائده

للتَّوْحِيد ثَمَارٌ لَا تُحْصَى وفوائدٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُسْتَقْصَى،
وانظر إشارة إلى ذلك في قوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ
مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ
تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ] أي ثمارها وفوائدها.
ففوائد التَّوْحِيد وثماره على العبد في دنياه وآخراته لا حدَّ
لها ولا حَصْرَ، بل نقول قولاً كلياً:

○ إِنَّ كُلَّ خَيْرٍ يَنَالُهُ الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكُلَّ شَرٍّ
يَنْجُو مِنْهُ الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُوَ مِنْ ثَمَارِ التَّوْحِيدِ وَأَثَرُ
مِنْ آثَارِهِ، وَإِذَا دَخَلْنَا فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفَاصِيلِ فِي ثَمَارِ التَّوْحِيدِ

وآثاره؛ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ ثَمَارِ التَّوْحِيدِ وَآثَارِهِ أَنَّهُ يُصَحِّحُ
 الْأَعْمَالَ وَيُزَكِّيْهَا؛ إِذَا الْأَعْمَالُ أَيًّا كَانَتْ وَمَهْمَا كَانَتْ لَا تَصَحُّ
 مِنَ الْعَامِلِ وَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ، فَهُوَ لِلْأَعْمَالِ
 كَالْأَسَاسِ لِلْبُنْيَانِ وَكَالْأَصُولِ لِلْأَشْجَارِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
 كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ۝١٩ ﴾ [سُورَةُ الْاِنْفِرَةِ]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَنْ
 عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً
 وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ [سُورَةُ الْفَتَلَةِ]،
 فَالتَّوْحِيدُ هُوَ الَّذِي يُصَحِّحُ الْأَعْمَالَ وَيُزَكِّيْهَا، وَلَوْ كَانَ عِنْدَ
 الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ وَالْعَدَدُ الْوَفِيرُ؛ فَإِنَّهَا لَا
 تُقْبَلُ مِنْهُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى التَّوْحِيدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ ۝ ﴾ [الْبَقَرَةِ : ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِلَٰهِينَ فَقَدْ
 حَبِطَ عَمَلُهُ ۝ ﴾ [الْمَائِدَةِ : ٥]، وَقَالَ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴿٦٥﴾ [النَّحْز: ٦٥]؛ فَالتَّوْحِيدُ يُصَحِّحُ الْأَعْمَالَ، وَلَا تَصَحُّ إِلَّا بِهِ.

○ والتَّوْحِيدُ سبَبُ الْفَلَاحِ وَالرَّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [سُورَةُ النِّعَمَةِ: ٦٦]؛ فَأَهْلُ

التَّوْحِيدِ هُمُ أَهْلُ الْإِهْتِدَاءِ، وَأَهْلُ الْفَلَاحِ، وَالْفَلَاحُ هِيَ أَعْظَمُ كَلِمَةٍ قِيلَتْ فِي حَيَاةِ الْخَيْرِ، فَالْمُفْلِحُ هُوَ مَنْ حَازَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا يُجَازُ الْخَيْرُ وَلَا يُظْفَرُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ لِلَّهِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ ﷻ.

○ وَمِنْ ثَمَارِ التَّوْحِيدِ: أَنَّهُ سَبَبٌ لِلْفَوْزِ بِكَرَامَةِ اللَّهِ ﷻ

وَجَنَّتِهِ وَسَبَبٌ لِلنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ ﷻ

مُوحِّدًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ ﷻ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - مُشْرِكًا

دَخَلَ النَّارَ وَخُلِدَ فِيهَا أَبَدَ الْأَبَادِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]،

فَالْتَّوْحِيدُ مِنْ آثَارِهِ وَثَمَارِهِ الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ.

فإن كان مُحَقَّقًا للتوحيد التَّحْقِيقَ الواجب أو التَّحْقِيقَ
 الْمُسْتَحَبَّ فنجاته نِجَاةٌ مِنَ الدُّخُولِ، أَمَّا إِذَا كَانَ مُوَحِّدًا لَكِنَّهُ
 ارْتَكَبَ مَعَاصِي وَأَثَامًا دُونَ الشِّرْكِ فنجاته نِجَاةٌ مِنَ الْخُلُودِ؛
 لِأَنَّهُ لَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ إِلَّا الْمُشْرِكُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَمَرَ
 الْمَلَائِكَةُ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ
 أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

○ ومن ثَمَارِهِ أَنَّهُ أَعْظَمُ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ، وَعَلَى
 حَسَبِ كِمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ
 مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزَّكَّرَى: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ
 يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا
 كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٢٥]، فَالْهُدَى
 وَالتَّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ، وَالشِّرْكَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٣٧)، وَمُسْلِمٌ (١٨٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والضلال من أعظم أسباب ضيقه.

○ ومن ثماره أن الله تكفل لأهله بالعز والنصر في الدنيا

والتمكن في الأرض وصلاح الأحوال، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا

أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ

وَلَيُعْبَدَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ

كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سُورَةُ النُّبُؤِ].

○ ومنها: أن التوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور

واللذة والفرح والابتهاج والطمأنينة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾

[سُورَةُ الرَّحْمَةِ]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ

هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [سُورَةُ طه].

وبعد؛ فهذه معالم يسيرة حول هذا الموضوع العظيم،

وَأَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَنْفَعَنَا جَمِيعًا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَجْعَلَهُ حِجَّةً
لَنَا لَا عَلَيْنَا، وَأَنْ يَهْدِيَنَا سِوَاءَ السَّبِيلِ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .



الفهرس

- المسألة الأولى: خصائص التّوحيد وفصائله ٥
- المسألة الثانية: حدّ التّوحيد وحقيقته ١٧
- المسألة الثالثة: تحقيق التّوحيد وتكميله ٢٣
- المسألة الرابعة: نواقض التّوحيد ونواقضه ٢٧
- المسألة الخامسة: مصدر التّوحيد ومنبعه ٣٥
- المسألة السادسة: ثمار التّوحيد وفوائده ٤٢

